العلاقات البرتغالية مع الخليج العربى
١٥٠٧ - ١٦٥٠

الدكتور محمود علي الداود
المدرس فى قسم التاريخ

يرجع الاستعمار الاوربى الحديث فى الخليج العربى الى القرن السادس عشر عندما استهدفت السياسة الخارجية البرتغالية ازاحة الاحتكار التجارى من عرب البحر المتوسط والشرق الاوسط الذين سيطروا على زمام الحركة التجارية بين اوربا واسيا • لقد كانت التجارة بين الشرق والغرب تتبع طريقين رئيسيين وهما طريق البحر الاحمر ومصر وطريق الخليج العربى والعراق وسوريا وكان كلا من هاذين الطريقين تحت السيطرة العربية [١] • وفى مناسبات عديدة أغلقت هذه الطرق لمنازعات وصعوبات سياسية وقد أدى ذلك أضرارا جسيمة بالحاجيات الاوربية من البضائع اشرقية ما عدا تلك التى كانت تنقل عن طريق وسط آسيا • وكانت فينيسيا وجنوة من أهم الدول الاوربية التى تاجرت مع الشرق على نطاق واسع فى بداية القرن الخامس عشر ، ولكن الاخيرة خسرت مركزها الممتاز فى التجارة الشرقية على أثر استيلاء الاتراك على القسطنطينية فى ١٤٥٣ كما أن سياسة المماليك الاقتصادية فى مصر قد أفقدت فينيسيا ماتبقى لها من أفضلية • ولقد أصبح من الواضح أن اكتشاف طرق جديدة الى الهند وجنوب شرق آسيا سيدر فوائد عظيمة على الدولة الاولى التى تعمل على تحقيق هذه الغاية وتهدف الى الابتعاد عن الطريق التقليدية عبر الشرق الاوسط • وكانت البرتغال هى الدولة الاوربية الاولى ذات الاهداف الاقتصادية الواضحة فى التجارة والاستعمار ليس فقط فى الخليج العربى

(1) Ballard, G.A. Navigators of the Indian Ocean Prior to the era of European Dominion, Marines' Mirror, 1924, Ap. pp. 10-20.

بل بعد فترة وجيزة فى الهند وجنوب شرق آسيا • ولا تزال مستعمرة گوا ، على ساحل الهند الغربى ، تمثل الاصول الاولى للاستعمار الاوربى فى آسيا ومن هناك انتقل البرتغاليون وحلفائهم من هولنديين وانكليز وفرسيين الى جزر الهند الصينية وموانىء الصين يثبتون أقدام استعمارهم الاقتصادى ثم العسكرى والسياسى حتى مطلع القرن العشرين • وكان الملك البرتغالى دوم هنريك (Dom Henrique) ١٣٩٤ - ١٤٦٠ ، الذى عرف بالملاح ، هو أول من وجه أنظار الاوربيين الى الشرق عن طريق جديدة عبر رأس الرجاء الصالح والمحيط الهندى وذلك على أثر الفتوحات التركية فى الشرق الاوسط (٢) • وقد تبلورت الجهود والاهداف البرتغالية الاستعمارية فى عهد الملك دوم أفونسو الخامس (Dom Affonso V) ١٤٤٣-١٤٨١ والملك دوم جواو الثانى (Dom Joao II) ١٤٨١-١٤٩٥ وأرسلت بعثات استكشافية عدة الى الشرق كان أولها بعثة پارثوليو دياز (Bartholomeu de Diaz) فى ١٤٨٦ الذى أبحر حول رأس الرجاء الصالح دون أن يعرف أنه دار حول النقطة الجنوبية من أفريقيا • وفى مطلع سنة ١٤٨٧ قام الرحالان البرتغاليان جواو پيرس دى كوفيلاو (Joao Peres de Covilhao) وأفونسو دى پافيا (Affonso de Paiva) برحلة حول الشرق يبحثون فيها عن بلاد التوابل وقد افترقا عند عدن فسار الاول الى گواو ومنها الى هرمز فى الخليج العربى ثم قفل راجعا الى القاهرة عبر العراق وسوريا وأما الثانى فقد استقر فى الحبشة مبعوثا للملك البرتغالى لدى الدولة الحبشية المسيحية • وفى آب ١٤٩٨ كان فاسكو دى كاما (Vasco de Gama) ، الذى كان قد أبحر من البرتغال ، قد وصل الهند عبر رأس الرجاء الصالح ، وقد انتهت حملته الكبيرة فى مدينة ليشبونة فى ايلول ١٤٩٩ • وان أهم نتائج الرحلة الاخيرة هو ظهور

---

(2) Lorimer, J. G. Gazetter of the Persian Gulf, Secret, Historical, Part. I. Vol. I. Proceedings of the Portuguese In the East. pp. 1-6.

ما يعرف بالثورات التجارية فى أوربا وظهور أهمية البرتغال فى ميدان السياسية الاوربية وفى ميدان الاحتكارات التجارية الجديدة وأصبح ملوكها يلقبون بـ « أسياد الفتوحات والملاحة والتجارة فى الهند والحبشة وبلاد العرب وفارس » . وقد استطاع الملك مانويل الاول (Manoel I) فى ١٥٠٥ من التغلب على الامة العربية فى ميدان السيادة التجارية وذلك باستيلاءه على كل من عدن وهرمز ومالقا . ولأجل تحقيق آماله الاستعمارية فى الشرق أرسل الاميرال فرانسيسكو دى الميدا (Francisco de Almeid) الى الهند وعينه حاكما على المستعمرات فى الشرق وقد اتخذ الاخير مدينة كوشين فى الهند الصينية عاصمة له . وفى خلال ١٥٠٦ وصلت أساطيل عربية وتركية الى شواطىء الهند لنجدة الامراء المسلمين هناك فى صراعهم ضد الفتوحات البرتغالية وكان اندحار الاساطيل الاسلامية فاتحة للسيادة البرتغالية البحرية فى جنوب آسيا والمحيط الهندى وخليج عمان .

وتعتبر سنة ١٥٠٦ نقطة تحول مهمة فى حركة الاستعمار الاوربى فى جنوب آسيا ففى تلك السنة غادر الفونسو دى البوكرك [٣] (Affonso de Albuquerque) ليتسلم منصبه الجدد فى الهند كنائب للملك ، وكان يهدف الى تأمين طرق المواصلات البحرية من العرب والاستيلاء على نقطتين مهمتين ذات استراتيجية بالغة وهما سوقوطرة (Soqotrah) وهرمز . وقد صادف أسطوله مقاومة ضعيفة فى مياه خليج عمان والخليج العربى وخاصة فى مسقط وعمان وقد استعمل البحارة البرتغاليون قسوة متناهية فى القضاء على هذه المقاومة . وقد رفض الشيخ سيف الدين حاكم جزيرة هرمز التسليم للاسطول البرتغالى الضخم واشترك أسطوله الصغير بمعركة حامية مع البرتغاليين أجبرتهم على التوقيع على معاهدة الصلح فى أيلول ١٥٠٧ التى اعترف بموجبها البرتغاليون بالشيخ سيف الدين حاكما

---

(3) Albuquerque, Affonso de, "The Commentaries of the Great Affonso Dalboquerque. 4 Vols. Hak. Soc. 1875.

على جزيرة هرمز مقابل قبوله الحماية البرتغالية [٤] • ولمن المعروف أن تهديدات الشاه الفارسى اسماعيل هى التى أملت على الشيخ سيف الدين اتخاذه هذا الموقف •

وقد حدث انشقاق فى صفوف البحرية البرتغالية وقد تزعم دى الميدا المعارضة ضد نائب الملك مما اضطر الاخير الابحار الى الهند وهناك اعترف به نائبا للملك البرتغالى فى الهند وقد استقبل فى عاصمته گوا وفودا رسمية من شاه فارسى وشيخ جزيرة هرمز • وفى فترات مختلفة من حكم البوكوك فى الهند هدد الاسطول التركى الممتلكات البرتغالية من البحر الاحمر ولكن نائب الملك اعتبر استعادة هرمز أكثر أهمية من الوجهة الاستراتيجية من الاستيلاء على ميناء عدن • وفى ١٥١٥ غادر اسطول برتغالى ضخم مياه الهند [٥] متوجها الى الخليج العربى وكان غرضه الاستيلاء على جزيرة هرمز التى كانت فى تلك السنة معرضة لثورة داخلية زاد سعيرها الفرس الذين كانوا يعتبرون هرمز قاعدة بحرية مهمة للدفاع عن شواطىء بلادهم من الغارات العربية والتركية والبرتغالية ، وكان البرتغاليون يكونون نصف الحملة الاخيرة أما النصف الثانى من الرجال فكان جلهم من مواطنى جزر مالابار ومن العبيد • وكان الوضع الداخلى فى هرمز عاملا مهما فى انتصار الحملة وقد حاول الفرس جذب البرتغاليين الى نوع من التحالف العسكرى والتعاون الاقتصادى ضد الاتراك فعرضوا عليهم تجهيز فارس بسفن حربية للاغارة على البحرين وقطيف وكذلك تقديم مساعدات عسكرية للقضاء على ثورة محلية فى ولاية مكران مقابل التنازل عن ميناء جوادر للملك البرتغالى• وفى ٢٠ اكتوبر مرض البوكرك الذى عين ابن أخيه پيرو (Pero) قبطانا على قلعة هرمز وغادر الجزيرة

---

(4) Curzon, G.N, "Persia and the Persian Question". Vol. II, P. 415.

(5) Danvers, E.C, "the Portuguese In India." 2 Vils. 1894.

متوجها الى الهنـد وقد توفى على ظهر سفينة وكانت على أميال قليلة من العاصمة گوا[٦] •

وكانت وفاة نائب الملك قد أضعفت نفوذ البرتغاليين فى الهند وجنوب آسيا وشاع الذعر فى صفوف البرتغاليين فى المحيط الهندى وازداد خطر الاسطول التركى الذى لم يقتصر نشاطه على مياه البحر العربى بل تعداه الى الخليج العربى أهم نقطة استراتيجية فى طريق المواصلات البرتغالية • وفى نفس الوقت ازدادت معارضة سكان الخليج العربى ضد الاستعمار البرتغالى البغيض الذى لم يتوان عن استعمال اقصى ضروب الوحشية فى سبيل جمع الضرائب من السكان • وكان أهالى هرمز والبحرين وصحار ومسقط يتعاونون مع شيخ هرمز فى سبيل دحر الاحتلال البرتغالى • وقد أرسلت حكومة الهند البرتغالية قطعات من الاسطول البرتغالى لأجل القضاء على المعارضة المحلية فى الخليج العربى وقد دمرت هذه القطعات مدينـة صحار وحاصرت هرمز التى دافع عنهـا شيخها العربى دفاعا مجيدا ولمـا ازدادت نيران مدافع الاسطول البرتغاليين طلب من الاهليين حرق المدينة والانسحاب الى قشم • ودخل البرتغاليون ميناء هرمز وسط نيران ملتهبة قضت على أسواق المدينة التى كانت بحق أغنى أسواق العالم بمنتوجات الشرق من التوابل والمنسوجات الحريرية وقاعدة دولية مهمة فى تجارة اللؤلؤ •[٧] وأجبر البرتغاليون شيخ هرمز الجديد على توقيع معاهدة مناب فى ٢٣ تموز ١٥٢٣ التى ألغت الحمـاية البرتغالية على الجزيرة وربطتهـا رأسا بالحكومة البرتغالية فى ليشونة ، وبذلك ضعف أمل سكان هرمز فى الحـكم الذاتى وأصبحوا جزءا من الامبراطورية البرتغالية وتحت حـكم الاستعمار البرتغالى المباشر • ولم تهدأ الثورات فى الخليج العربى ضـد

(6) Bargosa, Durate, "The Book of Durate Barbosa," 2 Vols, 1918. Val. I. pp. 90-109.

(7) The Travels of Pedro Teixeira, with His "Kings of Harmuz", And Extracts From His "Kings of Persia", Hakl. Soc. 1902. p. 2.

الاحتلال البرتغالى ، وبالرغم من جميع أعمال العنف التى استعملها الاسطول البرتغالى ضد الاهالى فى هرمز فقد ظلت تلك الجزيرة تقاوم بعنف أشد وأقوى وفى سنة ١٥٢٩ أمر الملك البرتغالى بترحيل كافة القوى والجماعات المعارضة للحكم البرتغالى وكان على رأس المعارضة الشيخ شريف مستشار شيخ هرمز السابق • وقد انفصلت جزر البحرين فى هذه الفترة عن شيخ هرمز وفشلت جميع محاولات الاسطول البرتغالى لاستعادتها •

وبينما كانت الثورات مستعرة ضد الاسطول البرتغالى فى الخليج العربى كان الاتراك ينتهزون الفرص لضم الخليج العربى الى منطقة نفوذهم فى الشرق الاوسط وكانوا يهدفون الى السيطرة على جنوب العراق وخاصة على ميناء البصرة • وقد أرسل الاتراك أسطولا ضخما من البحر الاحمر للدخول فى العمليات البحرية فى مياه هرمز ومسقط ضد الاسطول البرتغالى • وكان حاكم مصر ، سليمان باشا ، يحاول اقناع الباب العالى بأهمية الخليج العربى بالنسبة للاستراتيجية التركية فى الشرق وكان هذا الحاكم هو أول مسؤول تركى وجه أنظار استنبول الى الهند وقد قام فعلا خلال سنة ١٥٣٨ بقيادة حملة عسكرية تركية الى شواطىء الهند • وبالرغم من الشجاعة التى أبداها الاسطول التركى ولكن مجهوداته فى غزو الهند لم تفلح فقفل راجعا الى البحر الاحمر • وقد ازداد الصراع بين الاتراك والبرتغاليين من أجل السيادة على الخليج العربى بعد سنة ١٥٥٥ • وفى تلك السنة أعلن أهالى القطيف قبولهم للسيادة التركية التى كانت قد تركزت حديثا فى البصرة • وكانت مقاطعة القطيف تعتبر من ممتلكات شيخ هرمز الذى طلب من الاسطول البرتغالى استعادتها من الاتراك فأسرع البرتغاليون بأرسال ١٩ سفينة تقل ١٢١٠ من الرجال الى القطيف التى انسحب منها الاتراك متوجهين الى البصرة • وفى البصرة استعد الاتراك للقيام بسلسلة من الغارات السريعة على المراكز البرتغالية فى الخليج العربى وقد تمكن بير بك من الابحار فى الخليج العربى بأسطول ضخم واتجه نحو الجنوب حتى وصل الى مسقط واستولى عليها

ورفع العلم التركى على قلعتها البرتغالية • وبالرغم من المجهودات الهائلة التى بذلها الاتراك فى مياه الخليج العربى ضد البرتغاليين ولكنهم أصيبوا بنكسات متعاقبة وذلك بنتيجة فقدهم لوحدة الاهداف السياسية فى الخليج، فقد اضطروا الى تبديل قادة الاساطيل فى تلك المياه عدة مرات خلال سنة واحدة فقد توالى قيادة الاسطول التركى فى سنة ١٥٥٢ پير بك ثم مراد بك وعلي چلبى (٨) • كما أنه فشل حكمهم فى مسقط كان ظاهرة جليـة فى معارضة الاهالى لهم واعتبروهم محتلين فاتحين لايقلون طمعا عن البرتغاليين• وفى سنة ١٥٥٥ حاول الاسطول التركى غزو البحرين ولكنه أرجع على أعقابه نتيجة للتعاون البحرى والتحالف بين الرئيس مراد نائب شيخ هرمز والبرتغاليين وافرس •

لقد انضمت البرتغال الى أسبانيا فى ١٥٨٠ ولم تسترجع استقلالهـا الا فى سنة ١٦٤٠ ولكن نفوذها فى الخليج العربى ظل مستمرا الى سنة ١٦٢٢ • وقد ازدادت مقاومة سكان الخليج للاحتلال البرتغالى وخاصة فى هرمز ومكران • وفى هذه الفترة بالذات بدأ الاتصال البريطانى بالخليج العـربى • وفى سنة ١٥٨٣ قام أربعـة من المغامرين الانكليز وهم رالف (Ralph Fitch) وجـون نيوبرى (John Newberie) من التجـار و وليم ديدز (William Deeds) وهو تاجـر مجوهرات و جيمس ستورى (James Storsy) وهو رسـام برحلة من طرابلس فى سوريا متوجهين صوب بيرەجك ومنحدرين فى نهر الفرات الى الفلوجة فبغداد ومن هناك عبروا دجلة الى البصرة فالخليج العربى حيث ألقى القبض عليهم فى هرمز واتهموا من قبل البرتغاليين بالتجسس • وقد أرسلوا بعد حين الى عاصمة الهند البرتغالية گوا حيث بقوا فى الاسرى مدة من الزمن (٩)•

لا تزال البرتغال الامة الاوربية الوحيدة الممثلة فى الخليج العربى فى سنة ١٦٠٠ ولا يزال الاسطول البرتغالى سيد الموقف فى مياه الخليج

(8) Persian Gulf Gasetter. Secret. Vol. II. Historical. P. 7.
(9) Wilson, A, "The Persian Gulf." 1954. p. 127.

بعد أن رفرف العلم علم البرتغال هناك في ١٥٠٧ • وقد انتشرت القواعد العسكرية البرتغالية في جزيرة هرمز والبحرين وفي قشم ومسقط وربما عمان • كانت عاصمتهم هرمز قاعدة لهم في التجارة بين الشرق والغرب • وقد طرأ ضعف تدريجي على القوى البرتغالية الاستعمارية نتيجة لانضمامها السياسي الى أسبانيا ، كما ظلت السياسة الخارجية البرتغالية في الفترة ١٥٨٠ ـ ١٦٤٠ تحت سيطرة أسبانيا تصرفها كما تشاء • وفي نفس الوقت الذي كانت فيه البرتغال تعاني من شدة الحكم الاسباني كانت هولندا قد تحررت من السيطرة الاسبانية وأخذت توجه اهتمامها الى جزر الهند الشرقية الهولندية في سنة ١٥٩٥ في امستردام وارسلت في تلك السنة سفينتين تجاريتين الى مياه جنوب شرق آسيا •

وقد أخذت انكلترا توجه هي الاخرى اهتمامها بالشرق وخاصة بعد الانتصار الذي أحرزه الاسطول الانكليزي على أسبانيا في معركة الارمادا الشهيرة في سنة ١٥٨٨ ومن ثم تأسيس ما يعرف بشركة الهند الشرقية الانكليزية برأس مال قدره ٦٨٫٨٧٣ • باون وبعد هذه الفترة أخذت الحكومة الانكليزية ترعى بصورة رسمية وتساهم في الاحتكارات الاقتصادية في آسيا وتعتمد على الشركات في وضع الحجر الاساسي لاستعمارها الطويل الامد في الشرق الاوسط وجنوب آسيا وجنوب الشرق •

ترجع الاصول الاولى للعلاقات البريطانية مع فارس والخليج العربي الى مجهودات شخصية قام بها بعض المغامرين الانكليز وعلى رأسهم السير انطوني شيرلي (١٠) (Sir. Anthony Shirley) الذي قام برحلة غير رسمية الى بلاط الشاه الفارسي عباس الاول وكان هدفه الرئيسي هو محاولة اقناعه بفكرة التحالف مع الانكليز ضد التوسعات التركية والعمل على تأسيس

(10) Sherley, A "True Report of sir Anthony Sherley Journey Overland to Venice, from thence by sea to Antioch, Aleppo, and so to casbina in persia" 1600.

التجارة الانكليزية على قواعد قوية فى الشرق الاوسط • وكانت أساليب هذا المبعوث الانكليزى قد جذبت قلب عباس الاول الذى لم يكتف بطرد السفير التركى الذى بعثته حكومة الاستانة للعمل على خلق جو من الثقة بين تركيا وفارس بل أعلن بصورة رسمية بأن أبواب فارس مفتوحة للتجار الاوربيين • وكان الاعلان الشاهى الاخير الذى منح هؤلاء التجار امتيازات واسعة ، قد وضع الاساس لفكرة الامتيازات الاجنبية التى ذهبت ايران ضحية رخيصة لها فى خلال لقرون الاربعة القادمة • ومن المعروف أن الحكومة الانكليزية لم تطمئن الى اخلاص السير انطونى شيرلى الذى طالما اشتغل لمصالح عباس لاول الشخصية وأناب عنه فى مفاوضات سرية مع حكام روسيا كما وقع بالنيابة عنه معاهدات تجارية مع ألمانيا وأسبانيا وايطاليا • وقبل وفاة السير أنطونى فى ١٦٣٠ كان عباس الاول قد استعمل أخاه روبرت ، الذى كان قد ترك فى طهران رهينة عند الشاه ، لنفس الاغراض الدبلوماسية السابقة وكانت رسالة روبرت بصورة مختصرة تهدف الى العمل على توطيد العلاقات بين فارس والدول الاوربية من جهة واضعاف موقف الاتراك فى العلاقات الدولية من جهة أخرى • وبعد أن قام روبرت بزيارة كل من بولندا وألمانيا فى ١٦٠٩ وايطاليا فى ١٦١٠ اتجه نحو مدريد حيث وضع بين يد المسؤولين الاسبان فكرة جديدة فى العلاقات التجارية مع الشرق ملخصها أن تتعاون اسبانيا مع فارس فى نقل طرق مواصلات الحرير الفارسى من تركيا الاسيوية الى هرمز فى الخليج العربى • وفى ١٦١١ وصل روبرت شيدلى انكلترا وقابل الملك جيمس فى بلاطه « هامتون » وعرض عليه رسائل الشاه الفارسى التىأشارت الى اهمية فتح العلاقات التجارية فين فارس وانكلترا ، وقد خابت محاولات روبرت فى انكلترا وذلك لعدم موافقة تجار شركة الهند الشرقية عن مشروعاته خشية اغضاب الاتراك الذين كانوا مسيطرين على التجارة الشرقية عبر وادى الرافدين وسهل الجزيرة وهو أقصر طريق الى اوربا • وقد قاوم

الرأسمالى المعروف السير توماس راو[11] (Sir. Thomas Roe) مشاريع روبرت شيرلى ولم يتوان بان يصفه بالخيانة والعمل لحساب الجاسوسية الفارسية •

والواقع ان نجاح حركة الاستعمار البريطانى فى الشرق الاوسط والخليج العربى يرجع بالدرجة الاولى الى وضوح اهداف الحركة الاستعمارية من جهةوالى التعاون الذىساد بين الرأسماليين الانكليز والعمل على تحقيقه اهداف الشركات الاحتكارية عن طريق الدبلوماسية والرشوة والابتعاد قدر الامكان عن المغامرات الشخصية • كما ان الشركات الانكليزية التى اهتمت بتجارة فارس وخليج العرب اخذت تنظر الى الهند بعين استعمارية صرفة وكان الانكليز يعملون لاجل القضاء على امبراطورية المغول هناك • وقد ارسلت شركة الهند الشرقية اثنى عشر قافلة تجارية الى الهند فى الفترة ١٦٠٠ – ١٦١٢ ، وقد قدم الامبراطور الهندى أكبر امتيازات واسعة الى التجار الانكليز واعقب ذلك تأسيس مصنع انكليزى للحرير فى مدينة سورات فى ١٦١٣ • وكان توماس الدورث (Thomas Aldworth) أول كيل لشركة الهند الشرقية الانكليزية[12] فى الخليج العربى • ويرجع اليه الفضل فى توسيع التجارة الانكليزية فى كل من ايران والبحرين وقد حصل على فرمان من الشاه الفارسى فى ١٦١٦ بشأن حرية التجارة الانكليزية فى الامبراطورية الفارسية • وقد بدأت الدوائر الاستعمارية فى شركة الهند الشرقية فى لندن تعمل على زج الحكومة الانكليزية فى الحركة الاستعمارية فى الهند وطلبت من الاخيرة ارسال ممثل رسمى الى بلاط امبراطور المغول واقترحت ان يكون السير توماس راو هذا الممثل • ومن المعروف ان الاخير كان احد كبار

---

(11) Roe, T. "The Embassy of Sir Thomas Roe ..... as Narrated in his Journal and Correspondence. Hak. Soc. 1899.

(12) Bruc, J. "Annals of the Honorable East-India Company. 3 Vals. 1810.

الرأسماليين الانكليز الذين ساهموا فى تأسيس الشركة المذكورة •

وقد اخذ النفوذ البرتغالى فى الخليج العربى يضعف تدريجيا بعد ١٦٠٢ وقد خسروا مواقعهم على الساحل الفارسى وفى ١٦١٢ و ١٦١٥ انهزم اسطولهم الضخم أمام الانكليز فى معارك سورات الشهيرة وفى نفس الوقت شعر الامبراطور الهندى بضعف مركزهم الدولى • وقد ترك الاسطول البرتغالى جزر البحرين فى ١٦٠٢ الى الشاه الفارسى وفى ١٦٠٨ غارت القوات الفارسية على المستعمرات البرتغالية فى هرمز • وقد أستمر الحكم البرتغالى فى ميناء بندر عباس (التى كانت على الدوام تحت تهديدات شيخ قبائل اللار الفارسية) حتى ١٦١٥ عندما طردوا من قبل الفرس الذين حاصروا الميناء عدة اشهر • وقد انتقل النشاط البرتغالى الى ساحل عمان حيث قام الاسطول البرتغالى بمساعدة بعض القبائل العربية المتحالفة بالاستيلاء على ميناء صحار (أهم موانىء سهل الباطنى العمانى) وكان هدفهم القضاء على الاهمية التجارية لذلك الميناء الذى أخذ ينافس مسقط وهرمز باهميته الاقتصادية وقد سلم الشيخ محمد حاكم ميناء صحار للمغيرين الذين فتكوا بأفراد الحامية خلافا لشروط الصلح •

وبينما كانت الحرب مستمرة بين الفرس والبرتغاليين فى الخليج استمرت العلاقات الدبلوماسية بين بلاط مدريد وبلاط اصفهان • وقد استقبلت السلطات البرتغالية فى گوا فى ١٦١٣ السفير الايرانى دانش بك (لدى بلاط ملك اسبانيا والبرتغال) ورجع الى فارس بمثل ما استقبل به من حفاوة وأكرام • ولكن الظاهر من الوثائق ان الشاه لم يكن على وفاق مع السفير الذى اتهم بفشل مهمته الدبلوماسية ، وقد قتل فى يوم وصوله طهران[١٣] • وقد اتهم السفير دانش بك بانه شجع سفر المبشرين الاسبان الى فارس وقد رافقه الى الشرق فعلا احد الاساقفه الكاثوليك الذى بعد ان مكث مدة قصيرة فى صفهان ورأى صعوبة تحويل انظار الفرس

(13) Purchas. His Pilgimes. In Five Books. 1625. Also Glasgow, 20 Vols, 1905. 7. Vol. II. p. 1730.

وقد حصل كانوك[١٥] وجماعته على فرمان من الشاه فى آب ١٦١٧ وقد اوصى ذلك الفرمان بوجوب التبادل الدبلوماسى بين انكلترا وفارس وتعيين الاخيرة سفيرا لها فى بلاط « هامتون » وتبادل المنافع التجارية والحقوق الدولية الملحقة بينها وبين تجار البلدين • وتعهد الشاه بحماية القوافل التجارية الانكليزية واعفاء الرعايا الانكليز فى المثول أمام محاكم فارسية والسماح لهم باقامة شعائرهم الدينية بحرية وحمل الاسلحة للدفاع عن انفسهم • والمعروف ان المفاوضات التجارية والدبلوماسية بين كانوك والشاه جرت دون علم السفير الانكليزى فى اصفهان الذى غضب من قيام كانوك بتلقيب نفسه سفيرا للملك الانكليزى واتهمه بتبذير اموال شركة الهند الشرقية • وقد شك الشاه من أمر الانكليز الذين انقسموا على انفسهم وتقدم الآن سفيرهم يطلب فرمانا جديدا واخذ الشاه يعمل على اعادة العلاقات العامة مع الدولة البرتغالية وقد أرسل السير روبرت شيرلى فى ١٦١٦ الى الهند لحل مشكلة احتكار الحرير وقد وصل الاخير الى مدريد فى ١٦٢٢ •

وفى فارس استغل الممثلون الجدد لشركة الهند الشرقية الانكليزية المنافع التى حصل عليها كانوك بالرغم من الشقاق الذى ظهر بينهم وخاصة بين باركر (Barker) ومونوكس (Monox) • وقد أوصل السير توماس راو البعثة الجديدة التفاوض مع الشاه على اعتبار ان كانوك كان سفيرا رسميا يمثل البلاط الانكليزى وكان غرضه الحصول على حق حرية التجارة فى شيراز • وكان راو يعتقد باهمية التفاهم مع اسبانيا فى سبيل سلامة التجارة بينما كان بقية ممثلى شركة الهند الشرقية يعتقدون بوجوب محالفة الشاه لاجل طرد البرتغاليين من الخليج العربى وبذلك تصبح جميع تجارة منطقة الخليج بما فى ذلك فارس والعراق احتكارا للشركة المذكورة • وقد تمكن من الحصول على امتيازات تجارية فى فترات مختلفة وفى ١٦١٨ وافق الشاه على منع تصدير الحرير الى أوربا عن طريق تركيا

(15) Letters Received By the East India Company. Vol. VI. pp. 273-297.

أو الى اسبانيا والبرتغال وجعل حق الشراء احتكارا لشركة الهند الشرقية وحدها • وفى الوقت الذى استمر فيه الانكليز على فتح محطات تجارية متعددة فى جنوب ايران قام الملك جيمس ملك انكلترا فى ١٦٢٠ بتقديم طلب الى الشاه لغرض السماح للشركة بفتح وكالات تجارية فى جسك • وقد طرد الفرس البرتغاليين من رأس الخيمة على الساحل العربى ١٦٢٠ وفى نفس السنة دخل الانكليز مدينة جسك[١٦] • وكان الشـــاه عباس الاول خلال ١٦٢١ على استعداد لطرد البرتغاليين من هرمز التى اعتبرها جزء من الاراضى الايرانية • وقد تقوى عزم الشاه على استرجاع هرمز خاصة بعد الانتصارات العسكرية التى نالها ضد الاتراك فى تبريز خلال ١٦١٨ ـ ١٦١٩ • وقد استطاع الشاه بعد استيلاءه على مدينة قندهار من تأمين خطوطه العسكرية فى الجهات الشمالية الشرقية والشمالية الغربية • ولاجل السيطرة على هرمز ـ ذات الموقع الاستراتيجى الممتاز ـ فقد استعان عباس الاول بشركة الهند الشرقية الانكليزية التى ترددت اول الامر فى زج نفسها فى معارك بحرية ضد الاسطول البرتغالى • ولـكن اصـــرار مونوكس ، الذى كان يعتبر الممثل الرئيسى لانكلترا فى فارس ، على وجوب عدم اعطاء الفرصة لتغلب البرتغاليين جعل الشركة ترضى بوضع اسطولها تحت تصرف حكم فارسستان اذا ما وافق الشاه على الشروط التى تقدمت بها الشركة وهى : (١) تقسيم الغنائم بالتساوى بـين الشـركة والحـكومة الفارسية • (٢) تقسيم أسرى الحـرب حسب الاديان فيسـّلم الاسـرى المسيحيون الى الانكليز والاسرى المسلمون الى الفرس • (٣) تسليم القلعة البرتغالية فى هرمز ـ بما فيها من اسلحة وذخائر ـ الى الانكليز على الشرط ان يسمح للفرس باقامة قلعة خاصة بهم فى الجزيرة • (٤) تقسيم مدخولات المـكوس فى الجزيرة بين الانكليز والفرس بالتساوى • (٥) اعفاء التجارة

(16) Saldanah J. A, "Selections From State Papers". Bonbay. 1600-1800. P. S.

الانكليزية فى هرمز من الضرائب[١٧] • وقد قبل حاكم فارسستان امام كولى خان عن هذه الشروط مع تعديل بسيط تقدم به الشاه وهو ان يسلم الضباط البرتغاليين فى هرمز وقشم الى الفرس وان تبقى قلعة هرمز تحت الاحتلال الانكليزى والفارسى •

وفى هذه الفترة كانت الاساطيل البرتغالية فى الخليج العربى تحت قيادة روم دى اندريادى Rom Ruy Freire de Andrade الذى كان قد انشأ قلعة قوية فى قشم والذى كان قد أوقع خسائر فادحة بالاسطول الفارسى قبل التحالف الانكليزى ـ الفارسى الاخير • وفى ٢٢ كانون الثانى ١٦٢٢ سلم الاميرال البرتغالى للاسطول الانكليزى الذى حاصر هرمز وسلمه الانكليز بدوره الى الجانب الفارسى حسب مضمون الاتفاقية الاخيرة • وقد انزلت السلطات الفارسية قطعات ارضية الى هرمز فى بداية شهر شباط • وقد اعترض البلاط الاسبانى على الاعمال العسكرية التى قام بها اسطول شركة الهند الشرقية فى الخليج العربى وما قام به من اعمال ضد هرمز والاسطول البرتغالى مما اعتبر مخالفا للعرف الدولى فى وقت تتصف به العلاقات الانكليزية ـ الاسبانية ـ فى القارة الاوربية بالوفاق التام والصداقة المتبادلة • أما شركة الهند الشرقية فقد قدمت رشوة الى الملك جيمس مقدراها ١٠٫٠٠٠ باون ومثلها الى الدوق بكنكهام (Duke of Buckingham) قائد البحرية الانكليزية • واذا علمنا ان حصة الشركة من الغنائم البرتغالية كانت لا تزيد على ٢٥٫٠٠٠ باون علمنا مدى الاهمية الآنية من تلك المغامرة • والواقع ان الاهمية الحقيقية من وراء الاستيلاء على هرمز ترجع الى وقوعها على طرق التجارة المهمة واعتبارها قاعدة استراتيجية لاسطول الشركة • ويمكن اعتبار أهم نتائج اشتراك اسطول الشركة فى العمليات البحرية ضد البرتغاليين هى قناعة الشاه باهمية التحالف الانكليزى ـ الفارسى واطلاقه ايديهم فى الامور التجارية وتأكيده على امتيازات ١٦١٧ التى أعطيت الى كانوك مندوب الشركة •

(17) Letters Received by the East India Company. Vol. vi. p. 293.

وقد أستقر اكثرية البرتغاليين الذين انسحبوا من هرمز فى ميناء مسقط وكان معهم نجل شيخ الجزيرة العربى الذين كان يطمع فى استعادة مركز أبيه فى الجزيرة • وقد حاول الفرس ، بعد انتصاراتهم فى هرمز ، الاستيلاء على مسقط ولكن بدون عون الانكليز ـ وقد فشل الفرس فى هذه المحاولة ولكنهم نجحوا فى الاستيلاء على ميناء صحار وخور فكان على ساحل عمان • وقد انسحب الفرس من المركزين الاخيرين نتيجة لهجوم خاطف قام به البرتغاليون برا وبحرا تحت قيادة الاميرال دى انداردى الذى فر من معتقله فى فارس بواسطة الانكليز • وقد ظلت عمليات الاسطول البرتغالى ضد الساحل الفارسى مستمرة من ١٦٢٢ الى ١٦٢٥ حيث هزموا قرب ميناء بندر عباس من قبل اسطول انكليزى وآخر هولندى • وقد بقى الاميرال البرتغالى المهزوم على الساحل العربى وهناك قابله الرحالة الايطالى الشهير بيترو ديلا فالاى (Pietro della Valle) وفى نفس الوقت أقام الفرس تحصينات عسكرية فى بندر عباس وقشم وهرمز •

وقد اخذ مركز الهولنديين يتقوى فى الخليج لعربى وانتهزوا فرصة سقوط هرمز لتأسيس مركز تجارى لهم فى بندر عباس • وقد تحالفوا فى البداية مع الانكليز لاجل قهر الاسطول البرتغالى ولكنهم سرعانما دخلوا فى صراع دام مع اسطول شركة الهند الشرقية الانكليزية حول الامتيازات والاحتكارات التجارية فى تلك البقاع • وقد رفض الهولنديون دفع أى ضريبة فى بندر عباس (وترجع الضرائب فى هذا الميناء الى الانكليز والفرس معا) كما وضعوا خطة بحرية للاستيلاء على هرمز •

وأما الشاه عباس فكان لا يزال يتقدم على حساب الاتراك وقد تمكنت الجيوش الفارسية خلال ١٦٣٨ من السيطرة على العراق والاستيلاء على بغداد (التى ظلت بايديهم الى سنة ١٦٣٣) كما استولوا على الاماكن

(18) The Travels of. Sig. Pietro della Valle Into East India and Arabia Deserta. 1665.

الاسلامية المقدسة فى الكاظمية وكربلاء والنجف • وقد فشل الفرس فى الاستيلاء على البصرة التى دافع عنها بقوة حاكمها العثمانى بالتعاون مع الاسطول البرتغالى •

ان الخلافات التى وقعت فى لندن بين مندوب الشاه هناك ، السير روبرت سيرلى ، وبين السفير الفارسى الجديد ، نجدى على خان ، الذى عينه الشاه نفسه جعل الملك شارل الاول يرسل ، بتأثير من الشركة ، السير دود مور كوتون (Sir Dodmore Cotton) لاخذ وجهة نظر الشاه فى هذا النزاع الدبلوماسى من جهة ودراسة امكانية توسيع العلاقات التجارية بين فارس وانكلترا •

وقد حمل الاسطول الانكليزى الذى غادر المياه الانكليزية فى سنة ١٦٢٧ السفير الجديد وحاشيته ومؤرخ البعثة السير توماس هربرت[١٩] (Sir. Thomas Herbert) والسفيرين السير روبرت شيرلى ونجدى على خان وقد انتحر الاخير قبل وصول البعثة الى ساحل الهند بابتلاعه كمية من الحشيش • وقد سارت البعثة الى بندر عباس ومن هنالك عن طريق لورستان الى شيراز وقد استقبلهم هناك ممثل البعثة المستر برت (Mr. Burt) ، ثم توجهوا بعدها الى بلاط الشاه فى أشرف من اعمال مازندران • وبعد أربعة أشهر من وصول البعثة الانكليزية الى مازندران قابل السير كوتون الشاه الفارسى وشرح له ان الهدف من الرحلة هو تقديم التهانى الى الشاه بمناسبة انتصاراته على اعداءه الاتراك وكذلك لغرض تقوية الصلات الاقتصادية بين انكلترا وفارس • وقد رحب الشاه بمقدم السير كوتون وأكد له انه يوافق تماما على سياسة السير روبرت شيرلى كما أكد له عزم حكومة الشاه على تقديم امتيازات جديدة لتجارة الحرير الانكليزية فى بندر عباس • وقد اعترى علاقات السفير الجديد برود ملحوظ مع القصر الشاهى نتيجة لسوء الظن الذى وقع بين السير روبرت شيرلى

(19) A Relation of some Years of Travaile, Begunne Anno 1626 Into Africa and the Greater Asia.

وبين محمدعلى ، احد المقربين الى الشاه ، مما ادى الى عدم حصول السفير الانكليزى كوتون على مقابلة أخرى مع الشاه • وقد توفى السير روبرت سيرلى فجأة فى ١٣ تموز وتبعه السير دود مور كوتون بعد عشرة أيام •

وقد استمر الشاه عباس الاول فى حكمه حتى بداية سنة ١٦٢٩ حيث توفى وخلفه على العرش حفيده صوفى خان • وقد ضعفت السياسة الخارجية الفارسية فى عهد الاخير كما ساءت الاحوال الادارية • وكان من جملة ضحايا صوفى خان هو الامام كولى خان حاكم شيراز الذى كان قد استولى على هرمز بمساعدة الانكليز • وقد ساءت العلاقات الايرانية ـ الافغانية واستولى امبراطور المغول على قندهار وفى ١٦٣٩ منع تجار المغول من المتاجرة فى فارس وخاصة فى بندر عباس • وقد استعاد الاتراك بغداد فى ١٦٣٨ واصبحت اكثر المدن العراقية بايديهم بما فى ذلك المدن المقدسة التى كانت فى قبضة الفرس من ١٦٢٣ كما اضطر الفرس لقبول معاهدة ١٦٣٩ التى وضعت القواعد الاساسية للحدود بين الامبراطوريين العثمانية والفارسية • وقد تولى عباس الاول الحكم بعد والده شاه صفى فى ١٦٤١ وفى زمانه استمرت فترة السلم قائمة بين فارس والامبراطورية العثمانية وقد امتازت الفترة ١٦٤٨ ـ ١٦٥٠ بالحروب المتواصلة مع امبراطور المغول الذى ارغم على ترك قندهار •

ان اخبار وفاة الشاه عباس ، التى كانت قد وصلت الى لندن ،قد ايقظت شركة الهند ا لشرقية الى ضرورة تجديد الامتيازات التجارية مع خليفته • وقد حصلت الشركة على تجديد فرمان عباس الاول لسنة ١٦١٧ فى آب ١٦٢٩[٢٠] بعد صعوبات كثيرة وبعد ان تعهد وكلاء الشركة فى فارس بشراء ما قيمته ٢٠٠٠٠ الف تومان من حرير الشاه سنويا يدفع ثلث المبلغ نقدا واذا بقى الشاه على عهده يستمر الاتفاق بينه وبين الشركة التى كانت على استعداد لدفع هدايا شخصية للشاه وحاشيته لا تقل قيمتها عن ١٥٠٠ باون

---

(٢٠) لنص الفرمان الكامل باللغتين الفارسية والانكليزية راجع :
Leffers Received by the East India Company, Val VI, p. 293.

فى السنة • والمعروف ان معظم الامتيازات التجارية للشركة قد جددت بعد اعتلاء الشاه عباس الثانى العرش ولكن العروض الجديدة التى تقدم بها الانكليز فى ١٦٤٤ رفضت من قبل القصر وذلك لتوقف الشركة عن شراء الحرير بنفس المقادير التى حددها فرمان ١٦٢٩ • ومن الطريف ان نذكر بان اسباب السياسة الجديدة تعود الى التأثيرات البيورتانية الجديدة فى انكلترا• وقد انخفضت الاسهم البريطانية فى بندر عباس وقلت حصتهم من الضرائب الى حد كبير وذلك لخمود تجارة بندر عباس فى هذه الفترة من ناحية ولتأثر التجارة والضرائب بالتقاليد التى كان من الصعب على الانكليز فهم العلاقة بين بعضها البعض • وقد رفض التجار دفع اى ضريبة على البضائع التى يقدمها اصحابها هدايا الى الشاه ورجال قصره وحدث ان زار سفير المغول الشاه الفارسى فى ١٦٢٦ بدعوة رسمية وعند نزوله من السفن الانكليزية فى ميناء بندر عباس رفض دفع الضرئب عن البضائع التى كانت معه بحجة أنها هدية من امبراطور المغول الى الشاه • وبلغت حصة الشركة من مدخولات ميناء بندر عباس فى الفترة ١٦٣٠ – ١٦٣١ مبلغ ٥٥٠ تومان وقلت فى ١٦٣٢ – ١٦٣٣ الى ٢٤٢ تومان وفى ١٦٣٣ – ١٦٣٤ اصبحت ٣٤١ تومان فقط[٢١] • ان قلة مدخولات بندر عباس كانت تعود كذلك الى اهمال المسؤولين الفرس والانكليز على السواء لقضايا تنظيم الضرائب وتحويل اموال دائرة الكمارك والمكوس الى جيوبهم الخاصة ومن امثال هؤلاء الكاتبين ويدل (Captain Weddle) احد كبار رجال شركة الهند الشرقية ، الذى اتهم فى ١٦٣٣ بالرشوة والفساد •

اما تقارير الشركة الانكليزية فهى تضع اللوم على الفرس لسماحهم لجماعة اخرى وهم الهولنديين بحرية التجارة فى المياه الفارسية وتؤكد هذه التقارير ان دخلها من ميناء بندر عباس يجب ان لا يقل عن ٥٠٠٠ تومان سنويا (أى ١٥٠٠٠ باون انكليزى) • وفى تقرير سرى رفعه مبعوث دوق

---

(٢١) كان التومان الفارسى يعادل مبلغ ٣ باونات انكليزية فى قوته الشرائية فى ١٦٢٥ وارتفعت قيمته فى ١٦٧٧ فأصبح يعادل ٣½ باون •

هولشتاين الى الشاه أثناء مروره بميناء بندر عباس فى ١٦٣٨ ، بان الشركة تتناول عشر حصتها الفعلية .

وهنالك نقطة اخرى أود ان اتطرق اليها فى هذا المقال وهى استمرار الخطر العسكرى البرتغالى للانكليز فى الخليج العربى بالرغم من انهيار مركزهم الدولى فى الشرق . وقد حددت التعليمات الرسمية الى الكابتن سوانلى (Swanley) الذى كان يقود خمس سفن كبيرة من اسطول الشركة فى مياه الخليج العربى فى الفترة ١٦٢٨ - ١٦٢٩ والذى كانت سفينته الخاصة تقل مبعوث امبراطور المغول الى بلاط الشاه ، بوجوب تعقب قطع الاسطول البرتغالى واغراقها اينما يجدها . وقد حاول نائب الملك البرتغالى فى ١٦٣٠ ، الذى كان قد استلم نجدات عسكرية من أوربا ، منع وصول الاسطول البريطانى الى سورات ولكن المحاولة الاخيرة فشلت بالرغم من اشتراك القوات البرية البرتغالية فى المعارك على سواحل كرمان الجنوبية . وقد وصلت نائب الملك فى گوا تعليمات من ملك اسبانيا يطلب منه فيها ارسال مبعوث خاص الى شيراز للتفاوض مع حاكم فارسستان . وقد نجح المبعوث عن طريق الرشوة ، الى جذب الحاكم الفارسى لقبول وجهة النظر البرتغالية فى قضايا الخليج العربى والتى تتركز فى حصول البرتغاليين على امتيازات جديدة فى مدينة كونج . وقد فشلت المحاولة البرتغالية الاخيرة وذلك ليقظة شركة الهند الشرقية وحذرها من مؤامرات المنافسات الدولية الاخرى . وقد نجحت الشركة فى اقناع الشاه مباشرة باهمية ارسال نجدة عسكرية قوامها ٢٠٠ جندى لحماية المصالح التجارية الانكليزية فى بندر عباس من الغارات البرتغالية . وهكذا يأس البرتغاليون من صداقة شاه فارس ووجهوا انظارهم الى تدبير خطة جديدة فى ١٦٣١ ترمى الى الاستيلاء على هرمز بالقوة العسكرية . ولكن الخطة العسكرية الاخيرة فشلت وذلك لعدم مقدور الاسطول البرتغالى على التمركز فى رأس الخيمة على الساحل العربى من جهة وعدم مقدرتهم على جذب الشيوخ العرب الى حلف عسكرى[٢٢] .

(22) Calender of state papers (Colonial), 1622-409, No. 303.

وكان الفرس يدرسون فى الفترة ١٦٣٢ ـ ١٦٣٣ امكانية المبادرة بالهجوم على المراكز البرتغالية الاستراتيجية فى مسقط للحصول على معاونة الاسطول الانكليزى واذا ما فشل فى هذه المهمة فانه سيتوجه الى جهة اوربية اخرى وهى هولندا • ولكن الخطة الفارسية الاخيرة لم تظهر الى حيز الوجود وذلك للمنافسات القائمة حينئذ بين حاكم شيراز وحاكم مقاطعة فارسستان حول السلطة فى الولايات الجنوبية الغربية • وقد استمر حكم البرتغاليين فى مسقط وقد قاموا فى ١٦٣٤ باعادة ترميم قلاعهم فيها • وقد ذكر مبعوث دوق هولشتاين ، الذى زار ميناء بندر عباس فى ١٦٣٨ ، بان اللغة البرتغالية هى اللغة الدارجة بين سكان بندر عباس ولكنه ذكر كذلك بان السلطات الفارسية منعت الاسبان والبرتغاليين من دخول المدينة وذلك لما كان يحدث عادة من اشتباكات مسلحة مع الاهالى المتعصبين للاسلام •

ان الشؤون المحلية للخليج العربى والعلاقات الدولية كانت تتأثر على الدوام بالعلاقات الاوربية على القارة الاوربية نفسها • فان تحسن العلاقات الاسبانية ـ الانكليزية فى ١٦٣٤ ادى الى تحسين العلاقات فى الخليج العربى والمحيط الهندى بين المنافسة الانكليزية الممثلة بشركة الهند الشرقية والمنافسة العسكرية لنائب الملك فى گوا • وقد وقع نائب الملك البرتغالى والمعتمد البريطانى فى ميناء سورات على هدنة عسكرية فى مايس ١٦٣٤ وبذلك توقفت المصادمات المسلحة بين الطرفين فى تلك البقاع • وفى السنة التالية اصدرت شركة الهند الشرقية تعليماتها الى وكلاءها فى الخليج العربى وخاصة فى بندر عباس وجنوب فارس بوجوب اتخاذ موقف الحياد فى أى نزاع يحدث بين الفرس والبرتغاليين • وقد تحولت هذه الهدنة العسكرية الى معاهدة صداقة وقعها الطرفان فى ٢٠ كانون الثانى ١٦٣٦ فى العاصمة الهندية گوا[٢٣] • والواقع ان البرتغال استعادت قوتها الاوربية فى ١٦٤٠ على اثر انفصالها عن اسبانيا ، بعد حكم دام ستين عاما ، ونتيجة للجهود التى

(23) Miles, Col. S.B. "the Portuguese In Eastern Arabia" 1885. p. 50.

بذلها أمير براكانزا فى سبيل الاستقلال • ولكن هذا التغير لم يجدد حيوتها فى العلاقات الدولية ولم يرجع مركزها القوى فى الشرق • وظلت مسقط تعتبر القاعدة الرئيسية للبرتغاليين فى مياه خليج عمان •

وقد توجهت انظار البرتغاليين ، بعد ضياع هرمز ، الى مدينة البصرة فى العراق فاتخذوها مركزا لنشاطهم التجارى ونشاطهم فى ميدان التبشير• وقد أسس البرتغاليون محطة تجارية فى البصرة ومركزا دينيا فيها ودخلوا فى منافسة جدية مع التجارة الانكليزية • وقد ساعدوا الاتراك فى ١٦٣٤ و ١٦٣٥ اثناء الدفاع عن البصرة والممتلكات العثمانية الاخرى أمام غارات الفرس ووضعوا خمس سفن صغيرة فى مياه شط العرب لهذا الغرض • ان تغيير وجهة نظر الاطماع البرتغالية من الفرس الى الاتراك وتغيير تيار تجارتهم فى الخليج العربى من فارس الى الامبراطورية العثمانية كان قد فسّر من وجهة نظر الشاه الفارسى بانه عمل عدائى ، وكان هذا من الاسباب التى دفعت الفرس الى تجديد هجماتهم العسكرية ضد البصرة •

ان تبعثر الجهود العسكرية البرتغالية فى الخليج وفشلهم الدبلوماسى مع الدول المحلية فى الشرق الاوسط اضعف مركزهم الرئيسى فى مسقط ففى ١٦٤٠ كانت انباء الانتكاسات العسكرية البرتغالية فى المحيط الهندى والخليج العربى قد تسربت الى عمان ومسقط واخذ السكان العرب يشكون فى قوة القلاع البرتغالية التى تطل من جبال مسقط • وكان امام عمان هو اول من شعر بالضعف العسكرى البرتغالى • وقد هاجم العرب فى تشرين الاول ١٦٤٣ ميناء صحار وقتلوا جميع الحامية البرتغالية هناك وأسروا ٣٧ من الحرب البرتغالى • وحاصر العرب مدينة مسقط فى ١٦٤٨ واجبروا الحاكم البرتغالى العام على قبول شروطا مهينة لهيبة البرتغاليين ومركزهم العام فى الخليج العربى ومنها دفع الجزية وتسليم مدن خرباط ودبار الى العرب • ونتيجة للانهيار البرتغالى ارسل ملك البرتغال فى ١٦٤٩ تعليمات مشددة الى الاسطول البرتغالى فى المحط الهندى والخليج العربى بوجوب الدفاع عن مسقط بكل القوات المتوفرة وعدم تسليمها مهما كان الثمن وطالب باخراج

شيوخ مسقط من داخل المدينة واتخاذها مدينة عسكرية كما طالب بالعمل على بناء بحرى يكون قاعدة للاسطول البرتغالى فى بقعة تقع الى الجنوب من ميناء بندر عباس • ولـكن هذه التعليمات وصلت متأخرة فقد زادت هجمات العرب على مسقط فى نهاية ١٦٤٩ وفى كانون الثانى ١٦٥٠ سلمت قلعة مسقط بكامل حبوشها واسلحتها وغادرت جيوش الاحتلال البرتغالية مياه مسقط الى الابد •

على أثر زوال الحكم البرتغالى فى مسقط وعمان اخـذ البرتغاليون يفتشون لهم عن مراكز جديدة فى الخليج العربى وكانوا ينظرون بصورة خاصة الى ساحل اللار الفارسى (مقاطعات موانىء لنكه وباستاك الحالية) وساحل الاحساء • وبالرغم من العروض التى تقدم بها الشاه وخاصة بالنسبة الى جزيرة هنجام ولـكن البرتغاليين كانوا يفضلون الساحل العربى وخاصة ميناء خصب (الذى اطلق عليه البرتغاليون اسم كاسابو Cassapo) • وقد بقى مركز التجارة البرتغالى فى كونج نشطا ولـكنه اضمحل تدريجيا بعد ان توقفت السـفن التجـارية من الذهاب اليه بعـد ان كثرت الاعتداءات البرتغالية المسلحة على السفن التى لا تتاجر مـع كونج فاعلنت الوكالات التجارية مقاطعتها الاقتصادية لهذا المركز التجارى البرتغالى الوحيد •

وهكذا اخذ النفوذ البرتغالى ينكمش تدريجيا واخـذت الممتلـكات البرتغالية تضيع الواحدة بعد الاخرى وضاع المركز التجارى والاستراتيجى الممتاز الذى كانت البرتغال تملكه فى الخليج العربى ، أهم طريق دولى بين أوربا والشرق • واما العلم البرتغالى ، الذى ظل يرفرف على مياه الخليج قرابة قرن ونصف قرن والذى كان رمز القوة والتجارة فقد اختفى وأصبح سكان الخليج يرون أعلاما جديدة تخفق على ساريات الاساطيل ••• من هولندية وانكليزية وفرنسية •

ويمكننا أن نلخص أسباب سقوط البرتغاليين فى الخليج العربى الى هذه العوامل :

(١) استعمالهم العنف والخيانة فى معاملة جيرانهم الشرقيين •

(٢) انقسامهم الفضيع من أجل السلطة فى الخليج و التنافس المسلح المستمر بين قادة الاسطول البرتغالى •

(٣) عدم تقليدهم الانكليز والفرنسيين فى تأسيس شركات تجارية خاصة تتولى ادارة السياسة والتجارة فى تلك الاصقاع مباشرة وعدم كفاءتهم فى ادارة التجارة التى اعتبروها احتكارا للملك البرتغالى •

(٤) فقدانهم النظام العسكرى وهذا ظاهر فى القواعد العسكرية والبحرية المهمة •

وقد وصف الرحالة الايطالى الشهير پيترو ديلا فالاى (Pietro della Valle) الوضع الاجتماعى للقوات البرتغالية فى الخليج العربى (فى الفترة ١٦٢٤ ـ ١٦٢٥) بأنه يمتاز بالفوضى وهذا ينطبق على رجال الاسطول الذى امتازوا بالتوحش وفقدان الفضيلة الدينية الكاثوليكية• وقد وصف هذا الوضع الاجتماعى وأثره على السياسة العامة مؤرخ برتغالى معاصر ذائع الصيت وهو عمانويل دى فارای ـ (Manuel de Fariay Sousa) ما ترجمه أحد المؤرخين بالانكليزية نصا (٢٤):

"The Ruin of our affairs Proceeds from the little regard the Great Ones Have for the Lesser sort; and the covetousness of the Small ones, which Made them Forget their country and their Honour ..... The Portuguess can recover what is lost, But Know not How to preserue what they gain which the Most glorious part it Bing the work of fortune to Gain and that of prudence to preserve"

(24) See "Portuguess Asia" Vol. III, pages 383-3 (Stevens' Translotion of Hanuel de fariay Soussa"

مصادر البحث الرئيسية

(1) W.N. Foster, "Letters Received by the East India Conpany from thir Servants in the East,,. 6 volumes, 1896-1902. Covering the Period 1602-1617.

(2) Calender of state Paprs, for 1513-1616, 1617. 1624 al 1625-1660, 4 Volumes; clo. East India and persia, for 1630-34, vol I.

(3) Bruces Annals of the Honourable East India Company, 3 volumes, 1810 Covering the period 1600-1708.

(4) J. A. Saldanah, "Selections From state papers, Bombay, Regarding the East India Companys' Connection with the persian Gulf, with summary of events 1600-1800. printed 1905.

(5) Lieut-Col, R. Low, "The History of the Indian Navy". 1874. 2 Volumes.

(6) W. N. Foster, "Embassy of sir Thomas Roe" for the Period 1615-1619.

(7) W. N. Foster, "Purchase His Pilgrimes". Volume - X. reprint of 1905) which Contains A Summary of the Situation in the Gulf of Arabia 1621-1622.

(8) Herbert , "Some xears of Travels Relating to Sir D. cotton; Embassy to persia in. 1627-28.

(9) Fryers' "New Account of East India and Persia, 1698, Reffering to the years 1677-78.

(10) Hamiltons' "New Account of the east Indies, Based on a personal Experiences" Between 1688-1723. (1739).

(11) Travels of Pedro Eeixeira, English Translations. 1902. Reffering to the year 1904.

(12) Travels of Sig. Pietro della Valla, Englich Traslation. 1665. For the years 1623-25.

(13) Taverniers' Travels, English Traslations of 1684, Relating to 1625-1650.

(14) Manuel de Fariay Sousas' portuguese Asia, English Translation by stevens, 1695.

(15) Col. S. B. Miles "The Portuguese In Eastern Arabia, Contained In the Gulf of persia Residency Administration Report For 1884. 1885", 1886.

(16) Malcolms' "History of Persia." 1815. Vol. I.

(17) J. G. Lorimer "Gazetter of the persian Gulf" Secret. 4. Volume. Bomby 1908.